مسائل فى مصطلحات التجويد لفضيلة الشيخ جـلال الحنفي والاجابة عنها للاستاذ ع . الحاج صالح

1 ـ اورد جميع المصنفين فى التجويد ستة حروف قالوا انها هي حروف الادغام . وقد جمعوا ذلك بقولهم « يرملون » فى حين أن جميع حروف الهجاء هي محل الادغام باستثناء الألف .

2 ـ قالوا ان حرف الاقلاب واحد هو الباء عندما تقترن بها النون الساكنة فى مثل « أنباء وانبياء » نجد النون تقلب الى ميم عند هذا الالتقاء .. ولكن النون تقلب الى ميم كذلك عند التقائها بالميم فى مثل « من مال الله » فالنون هنا باتت ميما . ونرى النون تقلب الى راء فى مثل « قال فمن ربكما يا موسى » وتقلب الى لام فى مثل « فمن لم يجد » وتقلب الى ياء فى مثل « ان يكن منكم عشرون صابرون » وتقلب الى واو فى مثل « من ولى » .

كما انا نرى اللام تقلب الى راء فى مثل « وقل رب زدني علما » ونرى التاء المبسوطة تقلب الى هاء كالذي يقع للصلاة والزكاة والتوراة .

---

* ـ تفضل الشيخ جلال الحنفي من البلد الشقيق العراق بكتابة هذه المسائل فى مصطلحات التجويد وطلب من مدير المجلة أن يبين رأيه فيها ففعل . ورأينا أن ننشر هذه المسائل وأجوبتها حتى تعم الفائدة وليتقبل الشيخ منا تشكراتنا الخالصة . الادارة .

ونرى اللام تقلب الى حرف معادل للحرف الشمسي الذي تدخل عليه فيقال والشمس فتبيت فى الشمس شينان نشأ أحدهما من قلب اللام الى شين .

ففيم اذن قالوا ان حرف الاقلاب واحد هو الباء ؟؟

3 ـ قالوا ان اللام من الحروف الشمسية وقد وجدنا الحروف الشمسية اذا دخلت عليها لام التعريف باتت هذه اللام من جنس الحرف الشمسي الذي دخلت عليه .. ولكنا اذا ادخلنا لام التعريف على اللفظ المبدوء بلام لا نملك أن نقول ان لام التعريف قلبت الى لام ويعني هذا أن كلا من لام التعريف ولام اللفظ المعرف مثل ليل ولبن وليث ولباب لم يحتج أحدهما للآخر ولم يقلب أحدهما الى جنس الآخر ، وانما ظلت كل لام منهما لاما بعينها فلم عدوا اللام فى الحروف الشمسية اذن وما هي الا حرف قمري مستقل بلاميته .. ؟؟

4 ـ قالوا ان حروف الاخفاء خمسة عشر حرفا تلتقي بها النون الساكنة فتخفى ووجدناهم حاروا اشد الحيرة فى تصوير حالة الاخفاء وغاية ما قالوه أن يبتعد بالنون الساكنة عن مخرجها قليلا او كثيرا عند حالة الاخفاء وهذا تسيب واضح لا ينشأ به ما يراد من وضع النون فى هذه الحالة ..

وانا لنلاحظ أن واقع النون الساكنة انها تشم رائحة احد تلك الحروف فاذا قلنا « من ذا » فانا نرى رائحة الذال عالقة بشكل ما بالنون الساكنة وكذلك يقال فى النون الساكنة عند وجودها قريبا من الفاء والقاف والكاف والشين والظاء .. ومن اجل ذلك سميت هذه الحالة بالاشمام وقسمته الى ثلاثة أقسام كلي وجزئي وخفي وذلك على مقدار ما يكون فى النون الساكنة من رائحة الحرف المجاور .. فما رايكم فى هذه التسمية التي تمنح الموضوع وضوحا لا يتحقق بمصطلح الاخفاء .

5 ـ وصف القوم الميم الساكنة عند اتصالها بالباء بانها فى حالة اخفاء شفوي والذي لاحظناه أن حكاية الاخفاء مستبعدة فى هذه الحالة لان الميم لا تخفى فى الباء ولا الباء تخفى فى الميم بسبب وجودهما على خطين متوازيين لا يتقاطعان ولذا أطلقنا على هذه الحالة لقب « التماس » اذ وجدنا الحرفين يتماسان ولا يتقاطعان والاخفاء حالة تقاطع واندساس شيء فى شيء .

6 ـ أحصوا حروف الشدة وفق مواصفات وجدناها فى حرف العين فلم أقصوا هذا الحرف من المجموعة وجعلوه من البينيات فى حين أنه حرف ينقطع عنده النفس مثل انقطاعه فى أخواته الثمانية .. ولاحظنا أن واقع حروف القلقلة هو واقع حروف الشدة فلم لم يضيفوا الكاف والتاء والهمزة (والعين) الى حروف القلقلة ؟؟

7 ـ الصوت المفتعل ذو النبرة القوية وهو ما ينطق به في حالة القلقلة لا نراه مبنيا على نظام البيان العربي في القلقلة بصوتها الانفجاري يحدث بها حرف متولد جديد متحرك ليس من طبيعة الحرف الساكن أن يكون كذلك كقولهم « من واق ق » فكيف وقع هذا وكيف جاز أن يقع .. وهو لو نطق به هذا النطق في القافية الشعرية لأدى الى انكسار الوزن . كقولنا حتى اذا جن الظلام واختلط / ط جاءوا بمذق هل رايت الذئب قط / ط لذا نرى أن القلقلة مسألة جبلية في حروفها ولكن من دون افتعال أصوات زائدة فيها جعجعة مبالغ في جعجعتها وانما يترك امر النطق بها الى طبيعة الناطق .. وقد وجدناهم اعترفوا بما سموه بالقلقلة الصغرى التي هي قلقلة طبيعية لا تصنع فيها والكبرى مثلها حتما في مقاييس اللغة .

وها نحن اولاء لو قرأنا سورة البروج التي اختتمت آياتها ـ الا آية واحدة ـ بحروف القلقلة ثم افتعلنا الأصوات الغريبة عند النطق بهذه الحروف أفلا يلاحظ أن في هذه التلاوة أصواتا تبتعد بالألفاظ القرآنية عن جوها المحبب الى الأسماع الى جو ظاهر التهريج والتصخاب .. ؟

8 ـ قالوا في تعريف الادغام انه ادخال حرف في حرف مماثل له بحيث يبيتان حرفا واحدا يرتفع اللسان عنهما ارتفاعة واحدة . في حين أنا اذا قلنا « لما » فانا ننطق بذلك على مرحلتين يقال لكل منهما مقطع صوتي فنقول « لم » ثم نقول « ما » فلا نرى أن الحرفين باتا حرفا واحدا ولا ترانا رفعنا اللسان عن هذين الحرفين مرة واحدة . أفلا يلاحظ أن في التعريف تجاوزا عن الواقع .. وبهذا يتضح أن مصطلح الادغام لم يأخذ نصيبه من التعريف المطابق لواقع الحال .

9 ـ حكم الراء الساكنة اذا كانت مسبوقة بكسر أن تكون مرققة ولكن جاء في كتب المصنفين أن الكسرة اذا كانت عارضة وجب تفخيم الراء ومثلوا لذلك بالنص التالي « أم ارتابوا » . ان المقطع الصوتي المزدوج « مر » بكسر الميم واسكان الراء يشعر بأن الراء يجب أن تكون مرققة بحكم القاعدة المقررة .. ففيم جعلوا الراء هنا مفخمة ومن أين كان الكسر عارضـا ؟؟

10 ـ لاحظت أن المدود تعتمد على أن تكون حروفها حروفا ساكنة وان يكون ما قبلها متحركا بحركة ملائمة لنوعية حرف المد فاذا كان واوا وجب أن يكون ما قبل الواو مضموما .. فان كان ياءا وجب أن يكون ما قبل الياء مكسورا .. ولكنا اذا نظرنا الى كلمة « القوة » وجدنا الواو ساكنة وما قبلها مضموم فلم لم يقع المد الطبيعي هنا ؟ ..

اذن لابد أن يكون سكون حرف المد سكونا ذا مواصفات خاصة وليس كل سكون يؤهل المقطع الى المد .. وهذا ما جعلني أختار لهذا السكون اسم السكون الانسيابي للتمييز بين سكون يصلح له المد وسكون لا يصلح له المـد .

الاجـــــابـة

المسألة الأولى : « جميع المصنفين فى التجويد أوردوا ستة أحرف قالوا انها هي حروف الادغام .. فى حين أن جميع حروف الهجاء هي محل الادغام باستثناء الالف » .

الجواب : ان جميع المصنفين يذكرون ادغام هذه الأحرف الستة(يرملون) فى باب خاص بأحـــوال النون الساكنة . ويصرح فى ذلك أحد هؤلاء المصنفين ـ **وهو من أقدمهم** أعني مكي بن أبي طالب المتوفي 437 هـ . بأن: « **الحروف التي تدغم فيها النون الساكنة والتنوين** [وهي نون ساكنة أيضا من حيث المخرج والصوت] **ستة يجمعها هجاء قولك** « يرملون » والحروف التي تظهر معها الغنة يجمعها هجاء قولك « يومن » .. (راجع كتاب **الكشف** ، تحقيق محي الدين رمضان ، ج 1 ص 167) . فأما اطلاقهم « حروف الادغام » هكذا بدون تقييد فهذا لا يحصل الا عند بعض المتأخرين ومع ذلك فان وضعهم هذه الأحرف فى باب النون الساكنة وما يجري فيه من القرائن كاف لرفع اللبس .

المسألة الثانية : تسميتهم الباء « حرف الاقلاب » .

مثل هذا الذي قلناه عن حروف الادغام يقال أيضا عن عبارتهم « حرف الاقلاب » فان هذا الاقلاب هو عبارة عندهم عن انقلاب النون الساكنة ميما تحت تأثير الباء . يقول مكي بهذا الصدد : « النون الساكنة والتنوين ينقلبان ميما اذا لقيتهما باء » نحو قوله : « ان بورك [أمبورك] » (نفس المصدر ، ص 165) . فالاقلاب اذن هو من عمل الباء وهو مقيد بالنون الساكنة .

المسألة الثالثة : عدهم اللام من الحروف الشمسية .

يقول سيبويه (وكتابه هو المصدر الأقدم فيمـــا يرجع الى العربية وتأديتها) : « لام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفا لا يجوز فيها معهن الا الادغام ، لكثرة لام المعرفة فى الكلام **وكثرة موافقتها لهذه الحروف واللام من طرف اللسان** وهذه الحروف أحد عشر حرفا منها حروف **طرف اللسان** وحرفان **يخالطان طرف اللسان** .. والأحد عشر حرفا :

النون والراء والدال والتاء والصاد والطاء والزاي والسين والظاء والثاء والذال . واللذان خالطاها : الضاد والشين » . (**الكتاب** ، ط . بولاق ، ج 2 ، ص 416) . وعلى هذا فان الحروف التي سيطلق عليها لقب « الشمسية » (بعد سيبويه بقرون عديدة) **هي تلك التي وافقت اللام من حيث انها مثلها من طرف اللسان** أو **خالط مخرجها طرف اللسان فوجب بعد قلبها الى مخرج اللام ادغام لام المعرفة فيها** لهذا السبب ولكثرة مجيء لام المعرفة في الكلام (وهما سببان متلازمان في احداث هذا الادغام) . وان لم يذكر سيبويه اللام نفسها في مجموع هذه الحروف فلأنه قد ثبت ، أنه يجب ادغام الحرف الساكن في حرف مثله يأتي بعده (ولا يحتاج الى أن يقلب اذ هو مثله) . وعلى هذا لا يمكن أن نعتبر اللام حرفا قمريا اذ الحروف القمرية ، عكس الحروف الشمسية ، هي تلك التي لا تدغم فيها لام المعرفة لعدم موافقتها اللام التي هي من طرف اللسان . فاذا كانت جميع حروف طرف اللسان تدغم فيها لام المعرفة بعد قلبها الى مخرجها فاللام نفسها هي أولى واحرى بذلك ! واذا كانت تسمية المتأخرين بالحروف الشمسية تنطبق على جميع حروف طرف اللسان وما خالط هذا المخرج مما يوجب ادغام لام المعرفة فيها فان اللام في حد ذاتها هي ايضا من الحروف الشمسية ولا يمكن أن تدخل في حد الحروف القمرية . أما كونها غير محتاجة الى أن تقلب الى مخرج هذه اللام فلأنها مثلها تماما وهذا لا يسقط الصفة (= كونها من طرف اللسان) التي أوجبت ادغام لام المعرفة فيها وان كان واجبا أن يدغم كل حرف ساكن في تاليه المماثل له .

المسألة الرابعة : وصفهم لعملية الاخفاء والنون الخفيفة

ان العلماء القدماء لم يحاروا أبدا في وصفهم لحالة اخفاء النون بل هو من أوضح أوصافهم . قال سيبويه : « وتكون النون مع سائر حروف الفم غير الثلاثة عشر المذكورة حرفا خفيا مخرجه من الخياشيم » (نفس المصدر ، 415) وقال مكي : « ان النون الساكنة مخرجها من طرف اللسان واطراف الثنايا **ومعها** غنة تخرج من الخياشيم فاذا خفيت لأجل ما بعدها زال مع الخفاء ما كان يخرج من طرف اللسان منها وبقي ما كان يخرج من الخياشم ظاهرا .. أن النون الساكنة [وغير الساكنة] قد صار لها مخرجان : مخرج لها وهو المخرج التاسع (طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا وهو يميزه عن الميم التي هي شفوية . انظر سيبويه ، 405) ومخرج لغنتها وهو المخرج السادس عشر . (**الكشف** 2 ، ص 166) . وعلى هذا فالنون الخفية في **حد ذاتها هي غنة محضة** أي صدى يحدث في خرق الأنف المسمى بالخياشيم (ويحصل ذلك بعدم انطباق اللهاة على الممر المؤدي من أدنى الحلق وأقصى الفم الى الخياشيم) ولا يحدث معها اعتماد طرف اللسان على ما فويق الثنايا كما هو الحال في النون غير الخفية .

هذا ما يقوله العلماء القدامى وهو سليم وجد واضح . أما ما يستنتج من كلامهم ـ وما تثبته أيضا التجارب فى المخابر الصوتية ـ فهو كالتالي :

بما أن الغنة ناتجة عن صدى محض يحدث بمرور الصوت المتصعد من الحلق فى داخل الخياشيم فان جوهرها هو من جنس الحروف المصوتة (حروف المد وأبعاضها التي هي أصوات الحركات) . فهي داخلة بذلك فى جنس اللين غير الجامد (أو الجلد) الذي يحدث اما باصطكاك عضوين مثل الحروف الشديدة واما بتضييق المخرج مثل ما يحصل فى الحروف الرخوة . وعلى هذا فان غنة النون اذا حدثت وحدها كما هو الحال عند الاخفاء أي بدون أن يصاحبها الصوت الجامد الذي يحدثه طرف اللسان باعتماده على ما يحاذيه من أصول الثنايا ، فلابد أن تخالط ما هو واقع قبلها مما هو من جنسها (أي صوت الحركة التي قبلها) فاذا نطق الناطق بمثل : « عنك » « ومنك » باخفاء النون اشرب الفتحة فى المثال الأول والكسرة فى المثال الثاني غنة اضطرارا وهي غنة النون المخفاة وربما اشربت الكاف بعدها بغنة أيضا ـ وهو شيء عارض ـ بتدفق صوت النون المخفاة عليها . أما أصوات الحركات التي تلي النون (وأي حرف أغن) فلا مفر من اشرابها غنة النون اذ هي أصوات لينة مثل الغنة . وتبين الآلات الراسمة ذبذبات الصوت أن غنة النون تحدث ـ عند الاخفاء ـ مع حدوث صوت الحركة التي قبل النون . ولا يمكن أن يكون الأمر على غير هذه الحال لأن هواء الصوت فى الحركة يمر فى آن واحد بالفم وفى داخل الخياشيم . فيصير فتحة أو ضمة أو كسرة (أو ما يتفرع منها) غناء . وهذه المصوتات الغناء هي مجرد اعراض للأداء بالنسبة للعربية اذ لا تتميز بها معاني الكلم بخلاف ما هو موجود فى بعض اللغات الأجنبية كالفرنسية حيث تتميز معاني كلماتها بمقابلة هذه المصوتات الغناء لما هو من جنسها وليس بأغن (وذلك مثل و ، و بالكتابة الصوتية الأوربية) .

أما قولكم ان « واقع النون الساكنة انها تشم رائحة أحد تلك الحروف » فالعكس هو الصحيح لأن الذال في « من ذا » هي التي تشرب غنة (عرضا لا اضطرارا) ومعنى ذلك أن صدى الخياشيم ربما استمر ولا ينقطع عند حدوث الذال فيختلط حينئذ بصوت الذال (أي يحدث معه) . وبداية هذه الغنة تحصل كما قلت عند انصرام صوت الحرف المتحرك الذي هو قبل النون المخفاة (وكل ذلك بين ظاهر فى رسوم الذبذبات) .

المسالة الخامسة : وصفهم الميم الساكنة عند اتصالها بالباء بانها فى حالة اخفاء شفوي .

ما يقال عن النون الساكنة يقال أيضا عن الميم من حيث الاخفاء الا أن الميم لا تخفى الا اذا تلتها باء . وفى حالة الاخفاء تفقد صوتها الجامد ـ مثل النون (وهو فى الميم ناتج من اصطكاك الشفتين) وتبقى غنتها

وها هنا أيضا تحدث الغنة مع الحركة التي قبل الميم وتصاحبها فى اتصال حدوثها ويمكن أن تتواصل الى أن تختلط بمخرج الحرف الذي يلي الميم لأنها مجرد صدى مثل اصوات الحركات يمكن أن تمد الا أن هذه الأصوات هي صدى يحدث فى التجاويف التي فوق الحنجرة ماعدا الخياشيم (جوف الحلق وجوف الفم) . فاذا خالطه صدى آخر من جوف الأنف صارت الى تلك الغنة التي تحدث عند اخفاء النون والميم . واذا امتد حتى يصل الى مخرج الحرف التالي صار الصدى الخيشومي هو وحده المخالط لهذا المخرج وانقطع الصدى الحلقي الفموي الذي تتصف به اصوات الحركات ومداتها .

وتجدر الاشارة الى أن سيبويه ـ والمتقدمين من النحاة والقراء ـ لم يذكروا اخفاء الميم بل واكد مكي فى كتاب **الرعاية** (ص 206) انه : « اذا سكنت الميم وجب أن يحتفظ باظهارها ساكنة عند لقائها باء أو فاء أو واوا » وقال أيضا : « لابد من بيان الميم الساكنة فى هذا كله ساكنة من غير أن يحدث فيها شيء من حركة وانما ذلك **خوف الاخفاء** والادغام لقرب مخرج الميم من مخرجهن » (ص 207) (1) .

على أن الشاطبي ينسب الاخفاء الشفوي (الذي يذهب جمود الميم ويخلص غنتها) الى السوسي (صالح بن زياد المقرىء) فيقول :

وتسكن عنه الميم من قبل بائهـــا على اثـر تحريك فتختفى تنـــزلا

ويعني بالهاء فى « عنه » السوسي كما أثبت ذلك شراح الشـــاطبية .

ثم أن ابن عصفور فى كتاب **الممتع** (2 ، ص 720) يؤكد هو ايضا « أن الميم من الحروف التي لا تدغم فى مقاربها . وينبغي أن يحمل ذلك على الاخفاء وعلى ذلك كان يتأوله أبو بكر بن مجاهد رحمه الله » .

المسألة السادسة : اقصاؤهم العين من حروف الشدة وعدم ادراجهم الكاف والتاء فى حروف القلقلة

لقد قسم العلماء الأولون الحروف الى شديدة ورخوة وقسم ثالث جامع للشدة والرخاوة معا (وهو الذي سمي بالمتوسط أو البيني) .

---

1 ـ لفظة الاخفاء تدل عند العلماء الأولين على معنيين وقد التبست على هذا القارىء وعلى الكثير من العلماء الى يومنا هذا ، فان سيبـويه وشيخه الخليـــل يقصدان من الاخفاء تارة : هذه العملية التي تخلص النون غنة بازالة جمودها وتارة أخرى ما يسمى باختلاس الحركة وهو اضعاف اعتمادها فتختصر بذلك مدة حدوثها بحيث لا يستطيع السامع أن يدرك صوتها حتى يظن أن الحرف المتحرك بها ساكن .

وعلى هذا فان الاخفاء هو فى جميع الاحوال نقص لاحدى صفات الحرف الجامد أو المصوت (وما يترتب على ذلك من أحوال خاصة) وبهذا النقصان يصير صوتهما خفيا بكيفية من الكيفيات وليس اندساسا .

وصرحوا بأن الفرق القائم بين القسمين الأولين هو فى جري الصوت وعدم انحصاره فى الرخو وعـــدم جريه ومن ثم انحصاره فى الشديد . قال الشنتمري فى شرحه **للكتاب** (مخطوط 142 بالخزانة العامة بالرباط لوحة 149) : « والفرق بينهما أن الحرف الشديد اذا وقفت عليه (2) انحصر الصوت عليه والرخو اذا وقفت عليه لم ينحصر الصـوت » . وقال الرضى فى شرحه للشافية (3 / 260) : « الشديدة لا يجري الصوت عند النطق بها بل انك تسمعه فى آن ثم ينقطع » . ويعنون بذلك أن صوت الحرف الرخو يمكن أن يمتد ـ عند ما يكون ساكنا (3) ـ أي أن يردد وتطول مدة حدوثه ان شاء النـــاطق لان حدوثه يحصل بتضييق المخرج فقط أي بانغلاق غير تام للقناة الصائتة (فى مستوى أو مدرج من مدارجها كمستوى الحلق أو اللسان مع الحنك أو أصول الثنايا أو ما بين الشفتين وغير ذلك) (4) . فالهواء ينسل فيه ويتسرب فى داخل ذلك المضيق (ولذلك سماه ابن سينا بالتسريبي) . أما صوت الحرف الشديد فلا يمكن فيه ذلك لانه يحدث عند تسكين الحرف ـ بانغلاق تام للقناة الصائتة فى مدرج من مدارجها (كالبـاء فى مستوى الشفتين) ويمنع هذا الانغلاق التام من امتداد الصوت (5) .

وعلى هذا الأساس حدد العلماء القسم الثالث بانه جامع لصفة الشدة وصفة الرخاوة فى الوقت نفسه . ولا تناقض ههنا لان محل الانغلاق التام والانغلاق غير التام قد يختلف وذلك مثل الميم والنون ففيهما شدة فى مستوى مخرجهما الفموي وجرى صوت فى مستوى الخياشيم . وقد تتناوب الشدة والرخاوة فى أثناء حدوث الحرف نفسه وذلك مثل ما يحصل فى الراء اذ تتكرر فيه قرعات طرف اللسان على ما يحاذيه من أصول الثنايا (وقد يكتفي فيها بقرعة واحدة يتلوها جري الصوت) . **وكالعين** ايضا يقول عنها سيبويه انها : « بين الرخوة والشديدة تصل الى الترديد فيها لشبهها بالحاء » (**الكتاب** ، 2 / 406) . ويقول ابن عصفور فى **الممتع** (2 / 673) : « كان صوتها ينسل ، عند الوقف ،

---

2 ـ وأقدم ما وصلنا من ذلك هو ما يوجد فى **كتاب** سيبويه .

3 ـ ولا يتبين ذلك عند تحرك الحرف لان الحركة تمكن الناطق من الانتقال من مخرج الحرف الى مخرج الحرف الذي بعده .

4 ـ ويحتك عندئذ الهواء بتلك الفجوة الضيقة عند مروره بها ويحدث هذا الاحتكاك صوت الحرف الرخو ولذلك اطلق عليه الغربيون اسم الحرف الاحتكاكي (Fricatif) فى مقابل الحرف الانفجاري (Explosif) وهو الشديد ويعبر عنها الناطقون بالانكليزية بلفظة : (Stop) وهي قريبة من التسمية التي يستعملها ابن سينا : الحرف الحبسي (فى مقابل التسريبي) .

5 ـ أما اذا كان الحرف متحركا فيكون هذا الانغلاق فيه فوريا لان العضو الناطق اذا انتقل الى مخرج آخر بالحركة تجافى عن الموضع ـ أي ارتفع وفارق محله الأول لتحصيل الحرف الذي يلي .

الى الحاء فليس لصوتها الانحصار التام ولا جري الرخو » . ويعنون بذلك أن الشدة والرخاوة تتابعان فيها **بانقباض وسط الحلق وانبساطه على التوالي كانه اهتزاز** . وهذا ما لا يمكن أن يشك فيه اذ يظهر للعيان عند **استعمالنا آلة** خاصة تسمى بالمجواف الحلقي (تمكننا من مشاهدة ما يحصل فى باطن الحلق عند النطق (Laryngoscope) ودليل آخر يرجع الى التحليل الفيزيائي للصوت : فان الشبح أو الطيف الفيزيائي لصوت العين (ونحصل عليه بآلة تحلل الصوت الى عناصره الأولية تسمى المطياف (Sonagraphe) هو شديد الشبه بالطيف الخاص بأصوات المدات وأبعاضها أصوات الحركات . ونحن نعلم أن مصدر هذه الأصوات هو اهتزاز للأوتار الصوتية (وتسمى فى اللغة بالشوارب) وأن اهتزازها هو عبارة عن انقباض وانبساط سريعين جدا لهذه العضلات الحنجرية . فلهذه الأسباب كلها ندرك اليوم وبفضل التجارب والمشاهدة المخبرية صحة ما ذهبوا اليه من **ان العين ليس حرفا شديدا محضا ولا حرفا رخوا محضا.**

المسالة السابعة : حقيقة ما يسمونه بالقلقلة وصويتها ونفخة المهموس

عرف العلماء القلقلة بأنها صفة الحروف التي اذا « وقفت عليها خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن موضعه » (**الكتاب** ، 2 / 284) وهي حرف « قد طبج » ويجب أن نلاحظ أنها كلها شديدة **مجهورة** . وذكر سيبويه أن هناك حروفا « اذا وقفت عندها خرج معها نحو النفخة ولم تضغط ضغط الأولى (أي حروف القلقلة) وهي الزاي والظاء والذال والضاد » ونلاحظ هنا أيضا أن هذه الأحرف الأربعة هي ما عدا الغين جميع الرخوة **المجهورة** وأطلق على كلا القسمين اسم **المشربة** . ثم أشار الى أن الحروف المهموسة كلها تقف عندها مع نفخ » (**الكتاب** ، 2 / 285) فما هو يا ترى هذا الصويت أو هذا النفخ الذي يحدث بعد حدوث الحروف الشديدة والرخوة المجهورة الأربعة وجميع الحروف المهموسة ؟

ان حالة القلقلة ليست اختيارية ــ وكذلك النفخ ــ بل اضطرارية وقسرية « فلا تستطيع ، كما يقول سيبويه (نفس المصدر) أن تقف الا مع الصويت لشدة ضغط الحرف » . ثم ليس هذا الصويت أو ذاك حرفا جديدا متحركا بل هو صوت أو نفخ وجيز ناتج عن اطلاق الهواء بعد الوقف (أي عند انتهاء النطق بالحرف الساكن واسترخاء العضو الناطق) وهو عبارة عن نبوة للعضو والهواء او نبرة بعد انتهاء الضغط والحصر . ولهذا لا يمكن أن يحدث مثل هذه النبرة فى الحروف البينية اطلاقا كما انها لا تحصل فى الوصل اي اذا كان الحرف الساكن موصولا بحرف آخر غير موقوف عليه اذ النبرة تنتج عن ارتفاع العضو واطلاق الهواء بعد حصره (كأنها حركة) ولهذا يسمع للحرف المشرب والحرف المهموس صويت أو نفخ هما من نفس الحرف وليسا حرفا زائدا عليهما . وقد وصف ذلك ابن جني فى كتابه **الخصائص** بما لا يحتاج الى مزيد : « انك اذا وقفت عليه (أي الحرف الساكن المشرب أو المهموس) ولم

تتطاول الى النطق بحرف آخر من بعده تلبثت عليه ولم تسرع **الانتقال** عنه فقدرت بتلك اللبثة عن اتباع ذلك الصوت اياه . فاما اذا تأهبت للنطق بما بعده وتهيأت له ونشمت فيه حال ذلك بينك وبين الوقفة التي يتمكن فيها من اشباع ذلك الصويت » (1 / 57 ـ 58) وهذا ايضا تبينه الآلات الراسمة لذبذبات الصوت .

وما عدا هذه الحروف فلا يظهر معها صويت عند الوقف عليها . يقول الرماني بهذا الصدد : « لم كانت الحروف كلها سوى هذه الأقسام الثلاثة (6) لا صويت معها بعد خروجها في الوقت، وهل ذلك **لاستغنائها بانفسها** عن الصويت الذي يكون **كالاستراحة اليه فيها في الوقف** » (5 / 14 ب) . ومعنى ذلك أن الصويت (أو النفخ) الذي يحصل عند الوقف في غير هذه الأقسام الثلاثة يمتزج بصوت الحرف فلا يكون مثل النبرة (ولا يكون صويتا ولا نفخا مستقلا في الحقيقة) اما في الهاء والعين والغين وهي مشربة ـ فلأنها لا منفذ لها ما بين الثنايا أو الأضراس . أما اللام والميم والنون فلخروج صوتها من جانبي اللسان (في اللام) ومن الخياشيم في الأخريين . وأما الهزة فلخفاء نبرتها اذ « هي أبعد الحروف وأخفاها في الوقف » (الكتاب ، 286/1) .

المسالة الثامنة : معنى الادغام

قالوا عن الادغام انه : « يرتفع اللسان [فيه] بالحرفين ارتفاعة واحدة **لا فصل بينهما بوقف ولا بغيره** ويعتمد على الآخر اعتمادة واحدة فيصيران بتداخلهما كحرف واحد **لا مهلة** بين بعضه وبعضه ويشد الحرف ويلزم اللسان موضعا واحدا غير ان احتباسه في موضع الحرف لما زاد فيه من التضعيف أكثر من احتباسه فيه بالحرف الواحد (**التجديد في الاتقان والتجويد** لأبي عمرو الداني ، 193) . وقال ابن يعيش : « يقع اللسان عليهما وقعا واحدا من حيث لا يفصل بينهما زمان » (**شرح المفصل** ، 132/10) .

وعلى **هذا** فان عدم الفصل بين الحرفيين بزمان (زمان حركة أو مهلة وقف) هو الذي يجعل اللسان (أي آلة النطق لسانا كان أو غيره) يرتفع ارتفاعة واحدة كأن الحرفين حرف واحد . فقولكم ان نطقنا بالحرفين « على مرحلتين يقال لكل منهما مقطع صوتي » صحيح الا ان **قولكم** : « نقول « لم » ثم نقول « ما » فلا نرى أن الحرفين باتا حرفا واحدا ولا ترانا رفعنا اللسان عن هذين الحرفين مرة واحدة » غير وارد وذلك لأن حدوث

---

6 ـ حروف القاقلة الخمسة والحروف الرخوة المجهورة الاربعة وجميع الحروف المهموسة وما عدا هذه الحروف لا يسمع لها صويت ولا نفخ وهي : اللام والميم والنون والعين والغين والهمزة والهاء .

الحرف يشتمل ثلاثة أطوار (كما نبه على ذلك ابن سينا فى كتابه : **أسباب حدوث الحروف** وجميع الصوتيين المحدثين) :

1 ـ حبس النفس

2 ـ امتداد هذا الحبس

3 ـ اطلاق النفس

فاذا أدغم حرف فى آخر (7) ابتدأ الناطق بهما بحبس النفس وبما أن موضعهما واحد فانه لا يحتاج الى أن يطلق نفسه لينتقل الى مخرج الحرف الآخر بل يبقى احتباسه وتكون مدته أطول مما هو فى الحرف الواحد ثم يطلق نفسه فبزيادة المدة فى توتر العضلات يظهر الحرفان كأنهما حرف واحد مشدد . وبهذا يتضح معنى قولهم : « ان اللسان يرتفع ارتفاعة واحدة » فآلة النطق تعمل فى الادغام عملا واحدا متصلا وكل واحد من الحرفين ينقصهما حينئذ طور من الاطوار الثلاثة : الأول الساكن لا يكون فيه الا الحبس وشيء من امتداده أما الآخر فلا يكون فيه الا الاطلاق وشيء من امتداد الحبس السابق . اما اذا حصل الاطلاق فى وسط الطور الثاني بوقف أو بحركة فلا يكون حينئذ الحرفان مدغمين . وعلى هذا فاننا اذا نطقنا بـ « لما » وقلنا « لم » ـ وهو مقطع صوتي لا محالة ـ ثم انتقلنا الى المقطع الآخر « ما » بدون أن نقف على الميم الساكنة أي بدون أن نزيل التوتر العضلي الذي يحدثه الحبس ودون أن نطلق النفس كان نطقنا للحرفين بارتفاعة واحدة أي بعمل واحد متصل وان حصل الوقف بعد الحرف الساكن زال الادغام .

وهذا بينه جيدا علماؤنا . قال ابن جنى : « ألا ترى أنك فى قطع ونحوه قد أخفيت الساكن الاول فى الثاني حتى نبا اللسان نبوة واحدة وزالت الوقفة التي كانت تكون فى الاول لو لم تدغمه فى الآخر . » (الخصائص ، 140/2) .

المسألة التاسعة : تفخيم الراء الساكنة

قال مكي : « اعلم أن الراءات أصلها التغليظ والتفخيم ما لم تنكسر الراء ... واعلم أن الراء التي يجوز تغليظها وترقيقها تكون ساكنة ومفتوحة ومضمومة . فاما الراء الساكنة فحرف ضعيف لسكونه فهو يدبره ما قبله

---

7 ـ المقطع بهذا المعنى هو مفهوم دخيل فى الفكر اللغوي العربي (دخل مع ما ترجم من كتب الفلاسفة اليونانيين) . ولا يعرف النحاة العرب الا السبب (ويقابله المقطع الممدود عند اليونانيين) لانهم انطلقوا فى التحليل من النطق الحقيقي اذ أقل ما يمكن أن ينطق به مفردا هو المقطع الممدود (حرف متحرك فحرف ساكن) . وتحليل لفظة مثل « لما » على مقطعين له علاقة بقول العلماء العرب عن الحرفين المدغمين انهما حرف واحد مشدد .. وهو بوزن حرفين (السخاوي فى **شرح الشاطبية** ، 129) .

مرة وما بعده مرة لضعفه فى نفسه . فاذا كان قبله كسرة **لازمة غير عارضة** رققت الراء لقربها من الكسرة التي قبلها . واذا كان بعدها ياء رققت .. » (**الكشف** ، 209/1) . وقال ايضا : « فان وقع قبل الراء كسرة **عارضة** أو على حرف زائد **لم يعتد بها** نحو : « لربهم » و « برازقين » كان الحرف لم يذكر وكانه ابتدأ براء لا شيء قبلها يوجب ترقيقها وكذلك ان كانت الكسرة عارضة على حرف ليس من الكلمة نحو قراءته : « بعاد ارم » (الفجر ، 6 ــ 7) الراء مغلظة لان الكسرة التي على التنوين عارضة . انما هي كسرة الهمزة القيت على التنوين ... وكذلك الراء الساكنة اذا كانت الكسرة التي قبلها عارضة أو من كلمة أخرى ، لم تعمل فى الراء وكانت الراء مغلظة » (الكشف ، 211/1) .

ان المقصود من العروض عند العلماء العرب ــ وضده اللزوم ــ هو ، كما هو معروف الحدوث غير المستمر ، غير المطرد . فالشيء العارض هو الحادث الذي يقع عرضا اي اتفاقا من غير اطراد (8) . والذي لاحظه هؤلاء العلماء أن العارض فى اصله ليس له تاثير مثل الشيء اللازم اما بالنسبة لتاثير الاصوات اللغوية بعضها فى بعض فاللازم منها اي المؤثر بالاصالة فهو الحرف والحركة اللذان تنبني عليهما الكلمة اي العنصر الذي يدخل فى بنائها ولا يفارقها (الا عند تحولها الى صيغ أخرى) . فهذا العنصر الثابت يؤثر فيما جاوره لاستمراره وثبوته فى داخل الكلمة . اما العارض ــ مثل الحركة العارضة التي يتوصل بها الى النطق بالساكن (كالحركة التي تزداد على الساكن فى الابتداء وتلك التي تمكن الناطق من الانتقال من ساكن الى آخر) ــ فهو وان كان كثيرا فى الكلام الا انه من عوارض الادراج (9) فتاثيره حاصل لامحالة الا انه لا يبلغ من القوة ما يبلغه العنصر اللازم للكلمة اذ لا يتقيد تاثير اللازم بعوارض ادراج الكلم . وهذا لا يمنع من ان يؤثر العارض ــ الخارج من بنية الكلمة ــ اذا كان أقوى فيزيولوجيا من اللازم (اي اذا كان احداثه يتطلب جهدا عضليا أعظم) وذلك مثل الحرف المفخم بالنسبة للمرقق : يتغلب المفخم العارض على الكسرة اللازمة فى : « أراد أن يضربها قبل » ، لم يميلوا الالف فى « ها » للقاف التي بعدها (قبل) (10) . اما فى « أم ارتابوا » فلم تؤثر الكسرة فى الراء لعروضها وضعفها الفيزيولوجي معا وعروضها هو أهم السببين اذ قد تتغلب على الحرف اللازم المفخم اذا كانت لازمة لهذا الحرف (أي اذا بنى على الكسر) نحو : « الضعاف » « والصعاب » ولم يمنع الحرف المفخم الامالة لأن الكسرة قد لازمته وبالتالي اضعفته .

---

8 ــ قال الرماني فى كتاب **الحدود** : « العارض هو المار على طريق النادر واللازم هو المار على طريق المطرد » (ص 42) .

9 ــ أي الظواهر والاحداث التي تقع فى مدرج الكلام (عند اتصال الكلم بعضها ببعض وتأثير بعضها فى بعض) .

10 ــ راجع **كتاب** سيبويه : 265/2 .

المسالة العاشرة : حروف المد : نوعية سكونها

لم لم يقع مد طبيعي فى الواو أو الياء الساكنتين المدغمتين فى مثلهما كما هو الحال فى « قوة » و « سي » ، مع كون ما قبلهما متحرك بحركة مجانسة لهما ؟ الجواب عن هذا السؤال يوجد فى هذا النص من **كتاب** سيبويه : « اذا قلت : مررت بولي يزيد وعدو وليد فان شئت اخفيت(11) وان شئت بينت ولا تسكن (12) لأنك حيث ادغمت الواو فى عدو والياء فى ولي **فرفعت لسانك رفعة واحدة ذهب المد** وصارت بمنزلة مايدغم من غير المعتل . فالواو الأولى فى عدو بمنزلة اللام فى دلو والياء الأولى فى ولي بمنزلة الباء فى ظبي (**الكتاب** ، 2 / 409) .

فالسبب اذن فى عدم وجود مد فى هذه الأحوال هو حصول الادغام بين الحرفين وهذا جد معقول لأن الادغام هو وصل شديد ، مبالغ فيه « لحرف ساكن بحرف مثله متحرك بلا سكتة على الأول بحيث يعتمد عليهما بهما على المخرج اعتمادة واحدة قوية » (13) وهذا « مزيل لفضيلة المد » (14). والوصل هو فى حد ذاته يمنع امتداد الصوت كما يمنع ظهور الصويت أو النفخ فى حروف القلقلة وغيرها . فاذا حصل هذا الوصل فى الادغام كان أشد منعا لكل ما يحدثه الوقف أو ينتج بسببه . أما اذا وقعت الواو أو الياء الساكنة فى كلمة منفصلة أو خيف اللبس فلا يحصل الادغام وعندئذ ظهر المد . قال سيبويه : « واذا كانت الواو قبلها ضمة والياء قبلها كسرة فان واحدة منهما لا تدغم اذا كان مثلها بعدها وذلك قولك : ظلموا واقدا واظلمي ياسرا ويغزو واقدا وهذا قاضي ياسرا . لا تدغم . وانما تركوا المد على حاله فى الانفصال كما قالوا : قد قوول ، حيث لم تلزم الواو وأرادوا أن تكون على زنة قاول فكذلك هذه اذ لم تكن الواو لازمة لها .. واذا قلت وأنت تأمر : اخشى ياسرا واخشوا واقدا ادغمت ، لأنهما ليسا بحرفي مد كالألف وانما هما بمنزلة قولك : أحمد ذهب بنا . فهذا لا تصل فيه الا الى الادغام لأنك انما ترفع لسانك من موضع هما فيه سواء **وليس بينهما حاجز** » (نفس المصدر) .

فهذا نص صريح فى أن سيبويه ــ واكثر العلماء المتقدمين ــ قد ادركوا جيدا الفرق بين **المد الأصلي** الذي هو **مطل واطالة للصوت** الهوائي اللين (وهو جوهر حروف المد واللين) ــ وهذا يزيله الادغام (15) ــ وبين

---

11 ــ يقصد من الاخفاء ههنا ما يقصد من الاختلاس : أن تسرع باللفظ بالحركة حتى لا يظهر جرسها وحتى يظن أن الحرف ساكن وهو بزنة متحرك .

12 ــ أي لا تسكن فيحصل بالضرورة ادغام .

13 ــ هذه عبارة الرضى فى **شرحه للشافية** (235/3) .

14 ــ نفس المصدر ، 238/2 .

15 ــ فيما يخص الواو أو الياء المديتين . أي اذا كانت احداهما مدغمة فى مثلها

الامتداد الذي يحصل لحبس النفس عند تسكين الحرف غير المدي (أي جميع الحروف ما عـــدا حروف المد وتسمى الأولى **بالجوامد** والثانية **بالذوائب**) . ويستنتج من هذا ومما نعرفه عن صفات الحروف أن السكون الذي هو توقيف لحركة الحرف (16) ومن ثم حبس (تام وغير تام) (17) للنفس، يختلف باختلاف الحروف : يكون التوقيف وحبس النفس في الجوامد الساكنة آنيا مع قبوله للامتداد (بابقاء التوتر العضلي) وفي الذوائب ــ التي هي دائما ساكنة ــ **زمانيا** ليس الا . فالأول هو سكون الباء والتاء والسين والواو والياء المفتوح ماقبلها وغيرها من الجوامد (18) : يحصل فيها التوقيف السكوني دفعة واحدة ويمكن أن يمتد فيه حبس النفس . أما الثاني فهو سكون يحصل فيه هذا التوقيف **دائما** بالتدرج لا دفعة واحدة ويحدث حبس النفس فيه بفتور الحركة وتلاشيها شيئا فشيئا ، الا اذا مكن الناطق صوتها وتلفظ في الحين بحرف جامد بعدها . واكثر ما يحصل هذا في الانتقال من هذا الحرف المدي الى حرف جامد ساكن (في مثل دابة ولا الضالين) فيقوم هذا التمكين للصوت مقام الحركة اذ تطول بذلك مدة الحركة التي قبل الحرف المدي وتكاد تغطيه كله الى غاية المخرج الذي يليه .

---

16 ــ خلافا للحركة التي هي عبارة عن اطلاق النفس وتنقل الهواء والاعضاء الناطقة من مخرج الى آخر والحرف ــ ايا كان ــ يحدث دائما بحركة سواء كانت معه وبعده كما هو الحال في المتحرك أم كانت قبله كما هو الحال في الساكن الذي يحدث بايقاف هذه الحركة (وهي التي مكنت الناطق من الانتقال من المخرج السابق الى مخرج الساكن) .

17 ــ تام في الحروف الشديدة وغير تام في غيرها .

18 ــ وحرفا اللين هما جامدان بهذا الاعتبار وان كانا قريبين جدا من الذوائب للينهما . ولهذا يحتمل لهما ما لا يحتمل للجوامد الاخرى اذ يستطيع الناطق أن ينتقل من احداهما ، في حالة تسكينها الى حرف جامد ساكن بعدها (كحروف المد) وذلك في مثل : وثب بكر وجيب بكر وأصيم (اذا أطيل حبس النفس فيها) . انظر ما يلي وما قاله سيبويه في **كتابه** ، 409/2 .

المراجـع

ـ ابن جنى (ابو الفتح عثمان) ، **الخصائص** ، تحقيق محمد علي النجار ، القاهرة فى 3 اجزاء ، 1952 ـ 1956 .

ـ ابن سينا ، **اسباب حدوث الحروف** ، السلفية ، القاهرة ، 1332 هـ .

ـ ابن عصفور ، **الممتع في التصريف** تحقيق فخر الدين قباوة ، حلب جزآن ، 1970 .

ـ ابن يعيش ، **شرح المفصل** ، 10 اجزاء ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ـ الداني (ابو عمرو) ، **التجديد فى الاتقان والتجويد** ، ميكروفيلم رقم 17 قراءات من معهد المخطوطات العربية .

ـ الرضى الاسترابادي، **شرح الشافية** ، طبعة القاهرة ، مجلدان ، 1939.

ـ الرماني (علي بن عيسى) ، **شرح كتاب سيبويه** ، ميكروفيلم رقم 88 من معهد المخطوطات العربية .

ـ « « « **كتاب الحدود** ، تحقيق محمد جواد ، بغداد ، 1969 .

ـ السخاوي، **شرح الشاطبية**، مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم 611.

ـ الشنتمري (الاعلم) ، **شرح كتاب سيبويه** ، مخطوط الخزانة العامة الرباط رقم 142 ق .

ـ مكي بن ابي طالب ، **الكشف** ، تحقيق محي الدين رمضان ، دمشق جزآن ، 1974 .

ـ « « **الرعاية** ، تحقيق احمد حسن فرحات ، دمشق 1973 .